

د. عبد السلام البسيوني



من محاسن الإسلام

## من الهدى القرآني:

- (للذين أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ، وَلَا ذِلَّةٌ؛ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يونس: 26.
- (إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَالْمُنْكَرِ، وَالْبَغْيِ) النحل: 90.
- (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ، وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) لقمان: 22.
- (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا، مَثَانِي، تَقَشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ؛ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) الزمر: 23.

## مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

فكما يلزمنا أن نسلم بأن الإسلام المجيد قد جمع محاسن كل ما سبق من الأديان (مصدقاً لما بيديه من الكتاب، ومهيماً عليه) المائدة:48، فيلزمنا ألا نكتفي بهذا الإجمال الرباني المرضي لأولي الأبواب والوعاة، بل يلزمنا أن نفصل بعض الإجمال لقليلي المعرفة بالدين، وحديثي العهد به، بل ولغير المسلمين؛ حتى يتبهاوا، ويؤمنوا، وتطمئن قلوبهم، ونحب إليهم الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكتابه ودينه؛ إعداراً، وتصحيحاً، وبياناً، وهداية.

ولا نزعم هنا أننا جمعنا في هذه الورقات محاسن الإسلام كلها ولا أكثرها، بل إن هذه إشارات تناسب هذا الإصدار المحدود، وإن كان الأمر مستحقاً لعمل كبير مستوعب، لعل الله تعالى يوفق إليه في قابل الأيام.

ونسأله تبارك وتعالى أن يكون في هذه الصفحات بيان وكفاية ودلالة، وأن يكون بها ما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وألا يحرمنا حسن الاحتساب، وحسن الثواب، وحسن المآب.

وبالله تعالى الاستعانة والتوفيق، وعليه التكلان. والحمد لله رب العالمين.

د. عبد السلام البسيوني

## مدخل:

تعد هذه الرسالة مقدمة أو مدخلاً لموضوع كبير (محاسن الإسلام ومعالم ارتقائه وتميزه وتفردته) ذلك الدين الذي يمتاز عن غيره من زوايا كثيرة، منها: مصدريته: (من الله العليم الخبير / تواتر مصدره الرئيس وقطعية ثبوته) وشهادته وهيمته: (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه) والتناغم في منظومته النصية والتشريعية: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا في اختلافاً كثيراً) ومن حيث شموليته: (الدنيا والآخرة، الإنسان والكون/ الروح والجسد/ الفرد والمجتمع.. إلخ)، ورسالته: (بين العبادة والدعوة والحضارة)، واستمراريته وديمومته: (حتى تطلع الشمس من مغربها)، ومن حيث القيم التي يدعو إليها: (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)، والتشريعات التي يسنها: (هذا هدى)، والأخلاق والقيم التي يتبناها: (وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)، والمعالم التي يلزم أتباعه أن ينتهوا إليها، والمعالي التي يرفعهم إليها: (إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم/ إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها) والقيم التي أسس لها في فوضى الاستباحة البشرية وعرام الخطايا الذي عم وطم: (الأخلاق/ التيسير/ الوسطية/ الشورى/ العدل/ الحق/ التقاضي/ رد العدوان/ أخلاق الحرب... إلخ).. إلى غير ذلك من التشقيقات التي يقتضيها مثل هذا الموضوع الضخم المهم..

لكننا في هذه الكتيب سنكتفي بعرض إضاءات سريعة، مصحوبة بالمستطاع في مثل هذا العمل المبسط، وفي الإشارة غناء لأولي الألباب، جعلنا الله وإياكم منهم، وأكرمنا وإياكم برضاه، وأسبغ علينا وعليكم نعمه ظاهرة وباطنة، والحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المحاسن في اللغة:

جاء في الصحاح في اللغة (باختصار): الحُسْنُ: نقيض القُبْح؛ والجمع مَحَاسِنُ على غير قياس، كأنه جمع مَحْسَنٍ. ويقال رجلٌ حَسَنٌ وامرأةٌ حَسَنَةٌ. وقالوا امرأةٌ حَسَنَاءٌ ولم يقولوا رجلٌ أَحْسَنٌ. والحاسِنُ: القمر. وحَسَنْتُ الشيءَ تَحْسِينًا: زَيَّنْتَهُ. وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِ وَبِهِ. وَالْحَسَنَةُ: خلاف السيئة. والمَحَاسِنُ: خلاف المساوي. والحُسْنَى: خلاف السوَأَى.

وجاء في لسان العرب (باختصار): قال الأزهري: لا تكاد العرب توحّد المَحَاسِنَ، وقال بعضهم واحدها مَحْسَنٌ، وليس هذا بالقويِّ ولا بذلك المعروف؛ إنما المَحَاسِنُ عند النحويين وجمهور اللغويين جمعٌ لا واحد له، وإنما يقال إن واحده حَسَنٌ على المسامحة، ومثله: المَفَاقِرُ، والمَشَابِهُ، والمَلَامِحُ، والليالي.

وكما جاء في الغني، والمعجم المعاصر للغة العربية: محاسن: جمع حُسْنٍ وَمَحْسَنَةٍ: مواضع حسنة أو مزايا، عكسها مساوي أو مقابح، وَمَحَاسِنُ الوَجْهِ: مَوَاضِعُ الحُسْنِ فِيهِ. وَمَحَاسِنُ العَمَلِ: مَزَايَاهُ، يقال: لِكُلِّ أُمَّةٍ فَضَائِلٌ وَرَذَائِلٌ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌّ. فالمراد هنا - إذن - الجوانب الحسنة في هذا الدين العظيم، التي يتميز بها عما سواه. فهيا نطف ببعض محاسن هذا الدين العظيم:





## أولاً: تصديقه لما قبله من الرسالات والرسول:

جاء الإسلام متناغمًا موافقًا لما جاء به أنبياء الله تعالى من قبل، غير مناقض، ولا معارض، ولا منافر لها؛ وكيف وهو وهم جميعًا عليهم السلام رسل لرب واحد، يحملون الرسالة نفسها للبشرية (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) الأعراف:65، وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى في وضوح لافت: (قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى، وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم؛ لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون) البقرة: 136، ويقول تبارك وتعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا، والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه؛ كبر على المشركين ما تدعوهم الله) الشورى:13،

ولم يسفه الإسلام الأديان، ولم يسيء لأصحابها؛ بل أمر بالإيمان بهم، واعتبارهم أنبياء لدين الإسلام ذاته: (لا نفرق بين أحد من رسله) البقرة:285. (قل: آمنا بالله، وما أنزل علينا، وما أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى، وعيسى، والنبيون من ربهم؛ لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون) آل عمران:84.

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في رسالته عن محاسن الإسلام: (دين الإسلام مبني على أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالى: (قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى، وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم؛ لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون) البقرة: 136، فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية على أجل المعارف والاعتقادات، من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على السنة رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته. فدين أصله الإيمان بالله وثمرته السعي في كل ما يحبه ويرضاه وإخلاص ذلك لله، هل يتصور أن يكون دين أحسن منه وأجل وأفضل!؟

## ثانياً: التوحيد ووضوحه

جاء الإسلام من أول أمره واضح العقيدة، جلياً في مفاهيم توحيد الرب الأحد، رآ وإلهها، وأسماءً وصفات، وخلقاً وأمرًا، فجلى أمر الوحداية بصرامة وحزم: (إنما هو إله واحد) النحل: 51، (قل هو الله أحد).

وأشار إلى أن ذلك هو دين الأنبياء الموحدين أجمعين، (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك، وإله آبائك: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، إلهًا واحدًا، ونحن له مسلمون) البقرة: 133.

فلم يدخل في متاهات الثوية: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين؛ إنما هو إله واحد) النحل: 51، ولا التثليث: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ولا أكثر من ذلك: (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً\* سبحانه، وتعالى عما يقولون، علوًا كبيرًا) ولا عبادة النجوم والأجرام كما يفعل بعض البشر: (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن) فصلت: 37. ولا البشر المعبودين: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا، لا إله إلا هو، سبحانه) التوبة: 31.

ودفع فكرة الشريك، وناقشها: (ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله؛ إذن لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحانه وتعالى) المؤمنون: 91، وأنهم يمكن أن يتقاتلوا ويختلفوا: (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً\* سبحانه، وتعالى عما يقولون، علوًا كبيرًا) وأنه تبارك وتعالى مستغن عن صاحبة والولد: (ولن نشرك بربنا أحدًا\* وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا\* وأنه كان يقول سفيها على الله شططًا) الجن: 2-4.

ثم حسم سبحانه شبهة الندية والمكافأة والمشابهة والمشاركة بشكل قاطع، فقال عز من قائل: (ليس كمثله شيء) الشورى: 11، وقال تعالى: (قل: هو الله أحد\* الله الصمد\* لم يلد ولم يولد\* ولم يكن له كفوًا أحد)

لذا فعقيدة التوحيد حاسمة واضحة، لا شعاب فيها يضل الناس، أو يتخبطون، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

### ثالثاً: الكليات الخمس مفخرة مفاخر الإسلام وأحسن محاسنه:

جاء الإسلام محافظاً على كليات كبرى، تغطي الدنيا والآخرة، والجسد والعقل، والمادة والروح، والذات والآخرين، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهي كلها مما اتفق عليه أهل الأديان وعقلاء البشر في كل زمان ومكان، وتواضعوا على أنها ضرورات حياتية لا يمكن التهاون فيها، ولا التنازل عنها،

يقول الدكتور محمد وفيق زين العابدين في مقاله عن الكليات الخمس بين الشريعة والقانون: وأعظم وجوه إعجاز التشريع الإسلامي، أنه يقوم على حفظ مصالح العباد في دينهم ودنياهم، فالشريعة لم تأت بالأحكام والقواعد إلا لحفظ هذه المصالح المتمثلة في الكليات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهي الضروريات التي تستلزمها حياة الإنسان، وبدونها يتعرّض الإنسان للضرر والفناء.

وإعجاز الشريعة ليس في حفظ هذه الضروريات الخمس فحسب، بل الإعجاز أعظم في دقة ترتيبها، ودفع التعارض فيما بينها، فلا يجوز الإخلال بحكم إلا إذا كانت مراعاته تؤدي إلى الإخلال بحكم أكثر ضرورة، فالجهاد واجب لحفظ الدين؛ لأن حفظ الدين أهم من حفظ النفس، وشرب الخمر يُباح لمن كان مضطراً لشربها؛ لأن حفظ النفس أهم من حفظ العقل، وللإنسان أن يقي نفسه من الهلاك بإتلاف مال غيره، إذا كان إتلاف المال ضرورة لحفظ النفس؛ لأن حفظ النفس أهم من حفظ المال.

والحق أنه لا مجال للمقارنة بحال من الأحوال بين ما شرع الله العليم الحكيم، وما قنن البشر القاصرة عقولهم، المحدودة فهمهم، المشوبة بتسلط الهوى والشهوة، لا مجال للمقارنة بين شرع رباني سماوي مُحكم ثابت، لا يتبدل ولا يتغير، وبين قانون وضعي بشري دائم التبدل والتعديل، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!



## رابعًا: المحافظة على كرامة الآدمي حيًا وميتًا:

خلق الله تعالى الآدمي منذ البداية مكرمًا مصون الكرامة، منذ خلقه تبارك وتعالى بيده، فسواه وعدله، ونفخ فيه من روحه القدسية، ثم أسجد له الملائكة، وأعطاه الحق لتمييز عن سائر المخلوقات، وأعطاه الاختيار ليهتدي أو يضل، وسخر له الكون بما فيه، يرتفق منه، ويتوسل به لعبادة الله تبارك وتعالى!

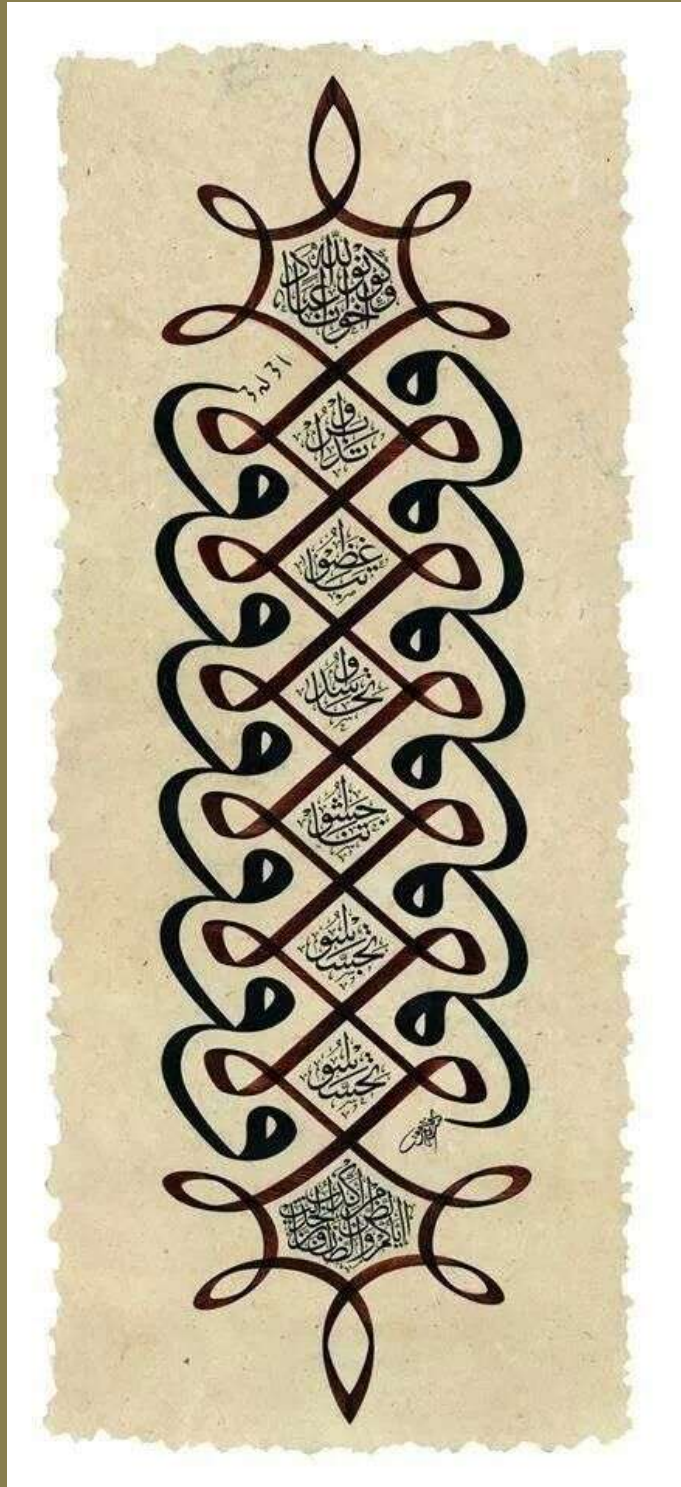
ثم بعد ذلك جعله معصوم الدم والمال والعرض، لا يهدر ذلك إلا بسبب شرعه الله تعالى لا أهواء البشر (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) مسلم وغيره عن أبي هريرة. وأهدر الإسلام العصبية والطبقيات وأشكال التفاوت بشكل حاسم: (ألا وأمر أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين/ كلكم لآدم وآدم من تراب/ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه.

كما وحد معيار التفاضل عنده تبارك وتعالى، فجعله في أمرين لا ثالث لهما؛ العلم والتقوى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم، درجات) المجادلة:11. وأهدر التفاضل بالمال أو الجنس أو اللون: (أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية) البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه.

ولم يجعل الغنى ميزانًا للقرب من الله تعالى ما لم يصحبه الإيمان: (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون) المؤمنون:56! وحرّم العدوان عليه بغير استحقاق: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا) الأحزاب:58.

وحرّم انتهاك خصوصياته وحرّماته: (إنا نهينا عن التجسس) الصحيحان عن ابن مسعود. (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته) أبو داود عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه.

والأدلة على ذلك كثيرة لا تسعها هذه العجالة.



تحفة فنية بقلم المبدع السوري محمد فاروق حداد

## خامسًا: أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد محرّم:

من نعم الله تعالى أن أقام هذا الدين على اليسر، وأمر به، (يريد الله بكم اليسر) البقرة: 185 (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا) متفق عليه عن أنس رضي الله تعالى عنه.

وجعل المباحات أكثر من المحظورات، منةً منه سبحانه وتيسيرًا على عباده، ورحمة بهم: (قل: لا أجد في ما أوحى إلي محرّمًا على طاعم يطعمه؛ إلا أن يكون ميتة، أو دمًا مسفوحًا، أو لحم خنزير، فإنه رجس، أو فسقًا أهل لغير الله به، فمن اضطر غير باغ، ولا عاد، فإن ربك غفور رحيم) الأنعام: 125.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو التشدد، فقد روى البخاري عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: (صم وأفطر، وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا)

كما نهى عن التحريم بغير برهان والتحليل؛ فقال تبارك وتعالى: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال، وهذا حرام؛ لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل: 116، وقال تعالى: (لم تحرم ما أحل الله لك)؟ التحريم: 1.

واعتبر التحليل والتحريم افتتًا على قداسة الربوبية، روى الإمام أحمد وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاهما، فرجعت إلى أخيها، ورغبت في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدي المدينة، وكان رئيسًا في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله) قال، فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم).

وهناك إضافات أخرى لا تسعها هذه الورقات.

## سادسًا: حل الطيبات بإطلاقها وحرمة الخبائث بإطلاقها

من أحسن محاسن الإسلام أنه دين طيبٌ ربه، طيبٌ نيه، طيبة قيمه، طيبة شعاره وشعائره، حتى إنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه جلاها لأمته واضحة كما ورد في مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا)!

لذا فقد أمر أنبياءه وعباده ألا يتعاطوا إلا الطيب في حياتهم كلها: (وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: {يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا} المؤمنون: 51، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} البقرة: 172، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُدّي بالحرام، فأني يُستجاب له)؟!

وفي مقابل ذلك حرم كل خبيث من الأفكار والعقائد والسلوكيات والمكاسب، والمطاعم والمشارب، فقال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: 157 (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم....) وفي سورة المائدة: 4 يقول تعالى: (يسألونك؛ ماذا أحل لهم؟ قل: أحل لكم الطيبات) وفي المائدة: 5: (اليوم أحل لكم الطيبات).

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها، إما في بدنه، أو في دينه، أو فيهما، واستثنى ما استشاه في حالة الضرورة، كما قال سبحانه: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم؛ إلا ما اضطررتم إليه) الأنعام: 119 قال بعدها: (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) كما قال تعالى في سورة الأعراف في صفة محمد صلى الله عليه وسلم أنه: (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) الآية: 157. وفي مقابل الطيبات حرمت الخبائث كلها: خبائث المعتقدات، وخبائث العبادات، والمعاملات، والسلوك، والقيم، والكاسب والمطاعم، والمشار، كما يتضح من ظاهر الآيات.

## سابعاً: تيسير أحكامه وواقعيتها ومرونتها

ومن محاسن الإسلام يسر أحكامه وقابليتها للتطبيق، ومراعاتها لأحوال المكلف زماناً ومكاناً وحالاً، فقد قال ربنا تبارك وتعالى: (يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر) البقرة:185، وقال تبارك وتعالى في المائدة:6: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج؛ ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم؛ لعلكم تشكرون).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: مما ينبغي أن يعرف أن الاستطاعة الشرعية المشروطة في الأمر والنهي لم يكتف الشارع فيها بمجرد الممكنة ولو مع الضرر؛ بل متى كان العبد قادراً على الفعل، مع ضرر يلحقه، جعل كالعاجز في مواضع كثيرة من الشريعة كالتطهر بالماء والصيام في المرض ولقيام في الصلاة وغير ذلك؛ تحقيقاً لقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولقوله تعالى: (ما جعل عليكم في الدين من حرج) ولقوله تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) وفي الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم أن الأعرابي لما بال في المسجد قال: (لا تزرموه) أي لا تقطعوا عليه بوله (فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) وكذلك في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثتهما إلى اليمن: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا) وهذا وأمثاله في الشريعة أكثر من أن يحصر؛ فمن قال إن الله أمر العباد بما يعجزون عنه إذا أرادوه إرادة جازمة فقد كذب على الله ورسوله وهو من المفترين الذين قال الله تعالى فيهم: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم و ذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال أبو قلابة هذا لكل مفتر من هذه الأمة إلى يوم القيامة!

## ثامناً: تيسير القرآن للذكر

ومن خصوص تيسير الإسلام يسر التعامل مع القرآن الكريم، تلاوة، وحفظاً، وتدبراً، وتأثراً، وإنك ليمكنك أن تجد صبيّاً أعجمياً ابن ثمان أو تسع سنين يحفظ كله لا يكاد يخرم منه كلمة، بلسان عربي مبين، ومع هذا فإذا سألته عن اسمه بالعربية لم يجبك!

قال العلامة ابن عاشور في التحرير والتوير، في تفسير قوله تعالى في سورة القمر في مواضع عدة: (ولقد يسرنا القرآن للذكر؛ فهل من مدكر) بتصرف واختصار: نوه الله تعالى بشأن القرآن بأنه من عند الله، وأن الله يسره وسهله؛ لتذكر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد.

وهذا التيسير ينبئ بعناية الله به مثل قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) تبصرة للمسلمين ليزدادوا إقبالا على مدارسته وتعريضاً بالمشركين عسى أن يرجعوا عن صدورهم عنه،

والتيسير: إيجاد اليسر في شيء، من فعل كقوله تعالى: (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) واليسر: السهولة، وعدم الكلفة في تحصيل المطلوب من شيء. وإذا كان القرآن كلاماً فمعنى تيسيره يرجع إلى تيسير ما يراد من الكلام وهو فهم السامع المعاني التي عنها المتكلم به دون كلفة على السامع ولا إغلاق. وهذا اليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني؛ فأما من جانب الألفاظ فذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب، أي فصاحة الكلام، وانتظام مجموعها، بحيث يخف حفظها على الألسنة. وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له. ويتولد معان من معان أخر كلما كرر المتدبر تدبره في فهمها.

ووسائل ذلك كثيرة منها إيجاز اللفظ ليسرع تعلقه بالحفظ، وإجمال المدلولات لتذهب نفوس السامعين في انتزاع المعاني منها كل مذهب يسمح به اللفظ والغرض والمقام، والإطناب بالبيان إذا كان في المعاني بعض الدقة والخفاء، ويتأليف نظم القرآن بلغة هي أفصح لغات البشر وأسمح ألفاظا وتراكيب بوفرة المعاني وبكون تراكيبه أقصى ما تسمح به تلك اللغة، فهو خيار من خيار من خيار. والذكر: هو تذكر ما في تذكره نفع ودفع ضرر، وهو الاعتاظ والاعتبار. فصار معنى يسرنا القرآن للذكر أن القرآن سهلت دلالاته لأجل انتفاع الذكر بذلك التيسير!



## تاسعاً: قيمه الأخلاقية (المكارم ومعالي الأمور)

ومن أعظم محاسن الإسلام دعوته للمكارم والمعالي، وكراهية الرذائل والسفاسف، ففي صحيح الجامع عن سيدي سعد وغيره مرفوعاً: (إن الله كريمٌ يُحِبُّ الكرمَ، يُحِبُّ معالي الأخلاق، ويكرهُ سَفْسَافَهَا) وفي رفع الهمم، والحث على المعالي يقول ربنا تبارك وتعالى: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) الصافات: 61، وقال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) المطففين: 26.

ومن أهم أسباب بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إتمام المكارم والسجايا النبيلة؛ ففي السلسلة الصحيحة عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إنما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ) وفي الجامع الصغير بسند حسن عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه، مرفوعاً: (ثلاثة من مكارم الأخلاق عند الله: أن تغفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك) وفي البخاري عن سيدي ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما بسند (معلق): {خذ العفو وأمر بالعرف} قال: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال.

وفي صحيح مسلم وغيره عن سيدي علي رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (...واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عني سيئها؛ لا يصرف عني سيئها إلا أنت) وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من وضع الرذائل وقبيح الأخلاق، ودنيء السجايا، ففي صحيح سنن الترمذي عن سيدي قطبة بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَنكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ) وكان صلى الله عليه وسلم يحض الناس على الإطعام والإكرام، ففي صحيح الأدب المفرد، عن سيدي قيس بن عاصم رضي الله تعالى عنه: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ما المأل الذي ليس عليّ فيه تبعَةٌ من طالبٍ ولا من ضيفٍ؟ فقال رسولُ اللهِ: (نعم المأل أربعون، والأكثرُ ستون، وويلٌ لأصحابِ المئينِ إلا من أعطى الكريمةَ، ومنح الغزيرةَ، ونحر السمينَةَ، فأكل وأطعم القانعَ و المعترَّ) قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ما أكرمُ هذه الأخلاقِ....!

ولعل في هذا القدر كفاية.

## عاشراً: الهداية للتي هي أقوم

يقول ربنا تبارك وتعالى: في سورة الإسراء-9: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم....) هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان؛ ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهدي إليه البشر في كل زمان ومكان. يهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء. ولا تسهل وترخص حتى تشبع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نوااميس الكون الطبيعية ونوااميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة.

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراداً وأزواجاً، وحكومات وشعوباً، ودولاً وأجناساً، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن؛ الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان.

## حادي عشر: حفظ الحقوق

ومن أحسن محاسن الإسلام حفظه للحقوق في الأحيان كلها؛ دون تمييز بين الناس بقربى، أو غنى، أو بعلم، أو بجاه، أو حتى بإسلام: فالحق من أسماء الرب تبارك وتعالى (ذلك بأن الله هو الحق) الحج:62، وحرمة الظلم على نفسه العلية؛ ففي مسلم عن سيدي أبي ذر رضي الله تعالى عنه في الحديث القدسي، المرفوع: (إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا)!

وفي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (لَتُؤَدَّنَ

الحقوق إلى أهلها يوم القيامة؛ حتى يُقَادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)!

وفي قول الحق عموماً جاء أمر الله تعالى: (وإذا قاتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وأمره تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، شهداء لله؛ ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء: 135 وفي صحيح سنن ابن ماجه مرفوعاً: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم! وفي صحيح سنن أبي داود عن سيدي أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه، مرفوعاً: (إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به)!

وفي طلب الحق ورد في البخاري عن سيدتي أم سلمة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً: (إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار)!

وفي القضاء ورد في تخريج أحاديث المشكاة عن سيدتي أم سلمة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً: في رجلين اختصما إليه في موارث لم يكن لهما بينة إلا دعواهما فقال: (من قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار) فقال الرجلان كل واحد منهما: يا رسول الله حقي هذا لصاحبي؛ فقال: (لا، ولكن اذهبا فاقتما، وتوخيا الحق، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) وفي صحيح سنن أبي داود وغيره عن سيدي بريدة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (قاضيان في النار، وقاض في الجنة، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً أو قضى بغير علم فهما في النار)!

وفي الاستقضاء جاء في البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له، فهم أصحابه، فقال: دعوه، فإن لصاحب الحق مَقَالاً، واشتروا له بغيراً فأعطوه إيّاه. وقالوا: لا نجدُ إلا أفضلَ من سنّه، قال: اشتروه، فأعطوه إيّاه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً!

وفي الأداء ورد في صحيح مسلم عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إنها ستكون بعدي أثرٌ وأمرٌ تُنكرونها). قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: (تؤدّون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم)

وفي إيصال الحق ورد في صحيح الجامع عن سيدي أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه مرفوعاً: (إن الله تعالى لا يُقدّسُ أمةً لا يأخذُ الضعيفُ حقّه من القويّ، وهو غيرُ مُتَعَتِعٍ!) وفي إنكار الحق والإعراض عنه ورد في صحيح مسلم عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (..... الكبرُ بطرُ الحقِّ وغمطُ النَّاسِ). وفي الشروط الجائرة وعقود الإذعان، ورد عن الجليلين أم المؤمنين عائشة وسيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما، مرفوعاً: (المسلمون على شروطهم، ما وافقَ الحقَّ من ذلك)!

ومما ورد في إحقاق الحق مع الخصم ما ورد في صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينَ افْتِتَحَ خَيْبَرَ - اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنَّ لَهُ الْأَرْضَ، وَكُلَّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ - يعني الذهبَ والفضةَ - وَقَالَ لَهُ أَهْلُ خَيْبَرَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْأَرْضِ، فَأَعْطَانَا عَلَى أَنْ نَعْمَلَهَا، وَيَكُونَ لَنَا نِصْفُ الثَّمَرَةِ وَلَكُمْ نِصْفُهَا، فزَعَمَ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ يُصْرَمُ النَّخْلُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ رَوَاحَةَ، فَحَزَرَ النَّخْلَ - وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْخَرَصَ - فَقَالَ: فِي ذَا كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: أَكْثَرْتَ عَلَيْنَا يَا بَنَ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: فَأَنَا أُحْزِرُ النَّخْلَ، وَأَعْطَيْتُكُمْ نِصْفَ الَّذِي قُلْتُ، قَالَ: فَقَالُوا: هَذَا الْحَقُّ، وَبِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، فَقَالُوا: قَدْ رَضِينَا أَنْ نَأْخُذَ بِالَّذِي قُلْتَ).

وغير هذا مما لا يتسع له المقام!

## ثاني عشر: الواقعية واحترام ضعف الإنسان وآدميته وعذره في خطئه

قال في إسلام ويب باختصار وتصرف شديدتين:

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإسلام هو كلمة الله الباقية للناس كافة وإلى قيام الساعة، فقال جلّ جلاله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة:3، فاصطفى أفضل الأديان وأشرفها وأكملها وآخرها، وجعل الشريعة التي جاء بها مهيمنةً على الشرائع السابقة وحاكمةً عليها. وحتى تتحقق هذه الخاتمة استلزم ذلك أن تتصف بصفاتٍ وخصائص تُعطي لها الصلاحية لكل زمانٍ ومكان:

فمن ذلك: أن الشريعة بتعاليمها تنبثق من واقع الناس وتُراعي واقعهم، وتتلاءم مع فطر الناس وتكونينهم، وميولهم ورغباتهم، وتباين قدراتهم وملكاتهم، وما يلحقهم من نقائص وحالات ضعف، فضلاً عن مراعاتها لظروف الواقع وملابساته. وهي لا تغفل طبيعة الانسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي ترسمه لهم، فلذلك بينت للناس الحد الأدنى من الكمال الخلقي والعقدي والعبادي المطلوب.

وحددت الأطر العامة من القضايا التشريعية التي لا يجوز الانفكاك عنها، وأن ذلك يقتضي ممارسة جملة من الأمور (الفرائض)، والابتعاد عن أخرى (المحرّمات)، وجعلت فيما بينهما مساحةً هائلةً من الأمور المباحة الطيبة التي لا تبعه عليها.

وواقعية الشريعة تتجلى في إلزام الناس بما يطبقون فعله أو الانتهاء عنه، فلا تكليف بما لا يُطاق، قال الله سبحانه وتعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج:78، وقال سبحانه وتعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة:286

ومن ملامح واقعية الشريعة: عدم التكليف بما لا يُطاق، فلا واجب مع وجود العجز، ولا محرم حال الضرورة، كما وضع الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمة المشقة والآصار التي كانت على الأمم السابقة، فلا مؤاخذه على النسيان والخطأ، ولا مجازاة على تصرفات المكلف حال الإكراه، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه) رواه ابن ماجه، والمشقة تجلب التيسير، إما بإسقاطه كله عن المكلف، أو إسقاط بعضه.

## ثالث عشر: تقدير العلم والعلماء

- من محاسن الإسلام الرائدة في التاريخ الإنساني تقديره العلم والعلماء، فتأمل هذه النصوص:
- في سورة الزمر: 9، يقول تبارك وتعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ) ويقول تبارك وتعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) المجادلة: 11.
  - وفي صحيح سنن ابن ماجه عن سيدي أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)
  - وفي صحيح الترغيب عن سيدي معاوية رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (يَأْبَاهَا النَّاسُ! إِنَّمَا الْعِلْمُ بِاللِّعْلَمِ، وَالْفَقْهَ بِالْتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ الْعُلَمَاءُ!)
  - وفي صحيح سنن الترمذي عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَمَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا!)
  - وفي صحيح الترغيب عن سيدي صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظَلُّهُ بِأَجْنَحَتَيْهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لَمَا يَطْلُبُ!)
  - وفي صحيح الجامع عن سيدي أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (طَلِبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ!)
- وغير ذلك كثير، لا مجال لتفصيله في هذا المقام.



## رابع عشر: فعل الخير بأنواعه

- من محاسن الإسلام حثه الدائم على فعل الخيرات بأنواعها كثيرة، ومن ذلك:
- قوله تبارك وتعالى: (فاستبقوا الخيرات) البقرة:148، وقال تعالى: (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...) الأنبياء:73، (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) الحج:77، وغيرها.
- وفي البخاري عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما: (.....فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة).
- وفي صحيح مسلم عن سيدي أبي سعيد رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (... لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير).
- وفي صحيح مسلم وغيره عن سيدي أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: (يا بن آدم ! إنك أن تبدل الفضل خيرٌ لك، وأن تمسكه شرٌّ لك، ولا تُلأم على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى).
- وفي الصحيحة عن سيدي ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما، مرفوعاً: (خيرُ الأصحابِ عند الله خيرُهُم لصاحبه، وخيرُ الجيرانِ عند الله خيرُهُم لجاره).
- وفي الصحيحة عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس).
- وفي سنن الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (خيرُكم من يرجى خيره ويؤمنُ شرُّه، وشرُّكم من لا يرجى خيره، ولا يؤمنُ شرُّه).
- وفي صحيح الجامع عن سيدي أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً: (خيرُ الناسِ من طالَ عمرُهُ، وحسنَ عملُهُ، وشرُّ الناسِ، من طالَ عمرُهُ وساءَ عمله).
- وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (... فإن من خيركم أحسنكم قضاءً).
- وفي صحيح الجامع عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (خيركم إسلاماً أحسنكم أخلاقاً، إذا فقَّهوا). والأدلة على ذلك متكاثرة متوافرة.

## ● خامس عشر: مراعاة الضعيف

ومن أحسن محاسن الإسلام مراعاته للضعيف، واهتمامه به، وتشريع الأحكام التي تناسبه، وبث القيم والأخلاق التي تحث على الحض عليه، وتلزم المجتمع بحياطته وحمايته.

يقول تبارك وتعالى: (... وبالوالدين إحساناً، وبذي القربى، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) 36. ويقول تبارك وتعالى: (والذين في أموالهم حق معلوم\* للسائل والمحروم) المعارج: 24-25.

وروى البخاري مرسلاً عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في «صحيحه» متصلاً.

وفي الصحيحة عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إني أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ).

وفي الصحيحين عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه وعليه حُلَّة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه ساء رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعيره بأمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده؛ فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم).

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتهَا إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين؛ فإنه ولي علاجه).

والأمثلة كثيرة عديدة.

## ● سادس عشر: حرصه على الأمن بإطلاقه

يحرص الإسلام على أمن الفرد والمجتمع والأمة، على أمن الديني البدن والأخلاق والقيم، على أمن الضعيف والقوي، والغريب والقريب، على أمن الدنيا والآخرة: يقول ربنا تبارك وتعالى عن أمن الآخرة: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) الأنعام: 82 وقال تبارك وتعالى في سورة يونس عليه السلام: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وقال عن الصالحين: (لا يحزنهم الفزع الأكبر) الأنبياء: 103.

وفي صحيح الترغيب عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ لَعَلْنَا نَحِبُّهُمْ! قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، ثُمَّ قَرَأَ: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

وفي الصحيحة عن سيدي شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً قديماً: (قال الله عز وجل، و عزتي لا أجمع لعبدي أمين و لا خوفين، إن هو أميني في الدنيا أحنته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنتته يوم أجمع فيه عبادي)!

وفي الأمن العام ورد في سنن الترمذي عن سيدي عبد الله بن محصن رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا). وفي الجامع الصغير عن سيدي ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (الأمن والعافية

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس

وفي الترغيب والترهيب عن نفر من الصحابة رضوان الله عليهم مرفوعاً: (لا يحل لمسلم أن يروغ مسلماً)!

وفي عارضة الأحوذى بسند ثابت أنه صلى الله عليه وسلم فنت لأمر نزل بالمسلمين من خوف عدو وحدث حادث.

## ● سابع عشر: الوسطية

لم يُغرق الإسلام أتباعه في تشدد خانق، ولا تسبب مستبيح، بل وازن في أحكامه وقيمه بين طرفي الأمور؛ متحرراً الوسطية التي تقوم على الاعتدال في كل نواحيه، كما قال الله تبارك وتعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض؛ إن الله لا يحب المفسدين) القصص:77، وفي مسلم عن سيدي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (هلك المتطعون، هلك المتطعون، هلك المتطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم؛ كما قال الإمام النووي في شرحه على مسلم.

وتتجلى هذه الوسطية في معالم عدة نذكر منها: الحرص على الجوهر قبل الشكل، وعلى الباطن قبل الظاهر، وعلى أعمال القلوب قبل أعمال الجوارح (إن الله لا ينظر إلى صوركم) والجمع بين العلم والإيمان، والتشديد في الثوابت والأصول والكليات، والتيسير في الفروع والجزئيات، والفهم المتكامل للإسلام بوصفه: عقيدة وشريعة، دنيا وديناً، ودعوة ودولة، والجمع بين الملائمة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، والتيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، ودعوة المسلمين بالحكمة، وحوار الآخرين بالحسنى، والجهاد والإعداد للمعتدين، والمسالمة لمن جنحوا للمسلم، وملاحظة تغير أثر الزمان والمكان والإنسان في الفتوى والدعوة والتعليم والقضاء. وفهم النصوص الجزئية للقرآن والسنة في ضوء مقاصدها الكلية، والإبداع المادي والسمو الروحي، وبين القوة الاقتصادية، والقوة الأخلاقية، واتخاذ منهج التدرج الحكيم في الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، والتركيز على المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، كالعدل والشورى والحرية وحقوق الإنسان، والحرص على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وعلى القرب لا المباعدة، والجمع بين استلهام الماضي، ومعايشة الحاضر، واستشراف المستقبل.

مع حرصه الشديد على البلاغ والتبشير لا التنفير، والدعوة، وتجلية الحق، وإقامة العدل، والصبر، والتجرد وحسن القصد، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

## ● سابع عشر: الشورى

ومن محاسن الإسلام اتخاذه الشورى منهجًا، ورفض الاستبداد بالرأي أو أحاديته، والمقصود بالشورى: طلب النظر في أمر من أمور المسلمين ومصالحهم، من أهل الحل والعقد، وتقليبه وفحصه، والموازنة بين جوانبه والآراء فيه، لاختيار أنفعها وأصلحها، والدلالة عليها، قال البدر العيني: وحاصل معنى شاورته عرضت عليه أمري حتى يدلي على الصواب منه.

وقد أمر الله تبارك وتعالى بمشاورة أصحابه المرضيين، كما ورد في سورة آل عمران: 159 (فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر) وكما ورد في السورة المسماة بهذا الاسم الشريف: الشورى: 38، على سبيل المدح والتشريف: (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون\* والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون\* والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون) الشورى: 36-38. وفي الترمذي عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ محمد الحمود النجدي/ المختار الإسلامي؛ باختصار شديد: ... فقد قال أنس رضي الله عنه: "استشار رسول الله الناس في الأسارى يوم بدر، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وكذلك استشار أصحابه للخروج لغزوة أحد، كما في البخاري، وشاور عليًا وأسامة رضي الله عنهما فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها!

وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب والسنة لم يتعدوه إلى غيره؛ اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم. وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولًا كانوا أو شبانًا، وكان وقافًا عند كتاب الله عز وجل. وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن الإمام بعد المشورة، والعزم على فعل الشيء لا يرجع عنه؛ إلا لسبب ظاهر، وأن الشورى إنما تكون في الأمور المباحة، أي: التي لا نص فيها.

مع ملاحظة أنها يجب أن تتم في إطار الشريعة، ومنهاج النبوة المحمدية، فلا تخرج عن النصوص الشرعية من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. وأن يشاور أهل الاختصاص من ذوي العلم والفهم، والعقل والخبرة والحنكة، كل بحسب اختصاصه وعلمه.. والله تعالى أعلى وأعلم.

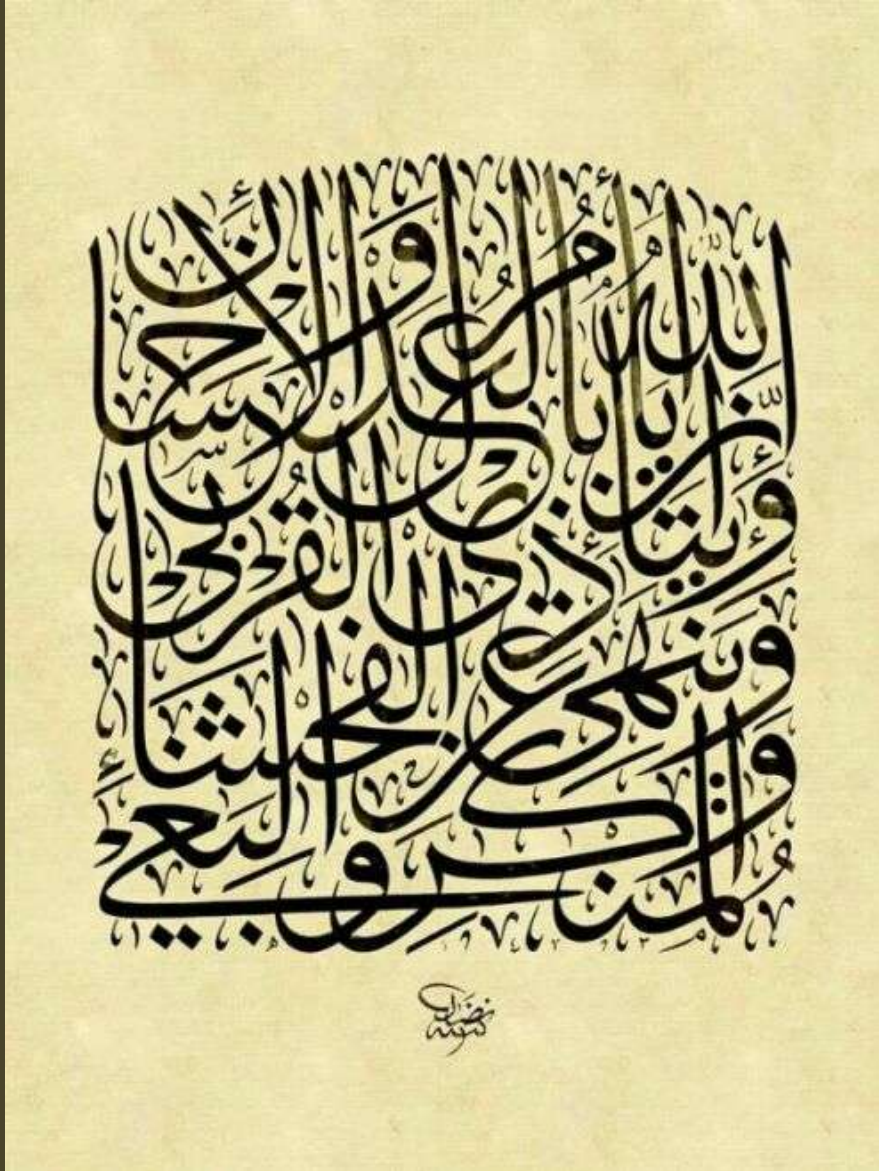
## ● ثامن عشر: الرحمة أساس في الإسلام

من أسماء ربنا تبارك وتعالى: الرحمن الرحيم، ومن أسباب بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نشر الرحمة في الكون كله، والكائنات كلها: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: 107، وفي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً؛ فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) وفي مسلم عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إن رحمتي تغلب غضبي)! قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى في فتاوى نور على الدرب:

الآية على ظاهرها، الله سبحانه أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فهو رسول الله إلى الجن والإنس إلى الجميع، كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) الأعراف: 158 وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) سبأ: 28؛ فهو صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الجميع، وهو رحمة الله إلى العالمين، بأسباب رسالته وطاعة أوامره، ينزل الغيث، وينتفع العالم كله: الدواب والشجر والجن والإنس والحيوان، وتقوم الحجة على الكافر، ويبلغ الرسالة، فهو رحمة للعالمين جميعاً، فمن دخل في رسالته كانت الرحمة كاملة في حقه، ودخل الجنة ونجا من النار، ومن لم يدخل قامت عليه الحجة، وانتفت المعذرة، وصار بذلك قد رحم من جهة بلاغه، ومن جهة إنذاره حتى لا يقول: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) المائدة: 19، فهي نوع من الرحمة، ثم ما يحصل من الخير من الغيث الذي ينتفع به الكافر والمسلم، وما يحصل من الأمن في العهود والمواثيق يحصل به الرحمة والخير للمسلم والكافر، إلى أشبه ذلك من الخيرات التي تقع بأسباب هذه الرسالة، حتى للكافر، حتى للدواب! فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً، لكن من دخل في الإسلام، واستقام على الدين صارت



الرحمة في حقه أكثر وأكمل، ومن لم يدخل في دين الله نال من الرحمة بقدر ما حصل له من الخير من غيث وأمنٍ ورزق واسع بأسباب هذه الرسالة، ومن أمنه في بلاده بالعهود والمواثيق التي بينه وبين المسلمين إلى غير ذلك من أنواع الرحمة.



## ● تاسع عشر: مكافأة المجتهد على خطئه

من أعظم محاسن أنه لا يتربص ويرصد أخطاء الإنسان، بل إن المولى الكريم يسترها ويمحوها، بفعل الطاعات بعد السيئات، أو بالاستغفار والتوبة، أو ببعض الخصال الحميدة، بل إنه لا يُرتب عليها آثاراً أخروية؛ إذا وقع فيها المكلف: خطأً، أو سهواً، أو جهلاً، أو إكراهاً: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به؛ ولكن ما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفوراً رحيمًا) الأحزاب:5، وفي صحيح سنن ابن ماجه مرفوعاً: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه).

قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: فأما الخطأ والنسيان فقد صرح القرآن بالتجاوز عنهما، قال الله تعالى: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة:286، وقال تعالى: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به؛ ولكن ما تعمدت قلوبكم) الأحزاب:5، وفي الصحيحين عن سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا حكم الحاكم، فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ، فله أجر)

وقال الحسن: لولا ما ذكر الله من أمر هذين الرجلين - يعني داود وسليمان - لرأيت أن القضاة قد هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعمله، وعذر هذا باجتهاده: يعني قوله سبحانه: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم...) الأنبياء:78،

وأما الإكراه فصرح القرآن أيضاً بالتجاوز عنه، قال تعالى: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان النحل:106، وقال تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) آل عمران:28.

قال الإمام النووي في شرحه على مسلم: (قوله صلى الله عليه وسلم: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران: أجر باجتهاده، وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده!

فاعجب من دين يكافئ المجتهد على خطئه، ويعذر المخطئ والجاهل، والمضطر!

وما أرحمك يا إلهي!

## ● عشرين: تعريف الآدمي بأعدائه

لم يترك الرحمن عباده منذ كانوا في الجنة حائرين تائهين، بل وضح لهم ما يصلحهم في دنياهم وأخراهم، وحذرهم مما يمكن أن يهلكهم ويرديهم، ووضح لهم سبل النجاة، وسبل الشيطان، وأرسل لهم الرسل: (مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) النساء: 165!

● وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم محذراً من الفتن بعمومها: (ستكونُ فِتْنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعد به!)  
● ومن بعض الفتن تعوذ صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال).

● وفي الجامع الصغير عن سيدي كعب بسند صحيح: (إن في مال الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة ولده).

● وقال الله تعالى لهم محذراً من الشيطان الرجيم: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً؛ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر: 6، وبين لهم بعض أساليبه وحيله: (إن يدعون من دونه إلا إناثاً، وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً\* لعنه الله، وقال لا تتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً\* ولا ضللتهم ولا منيتهم ولا مرنتهم فليبتكن آذان الأنعام، ولا مرنتهم فليغيرن خلق الله، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً\* يعدهم ويمنيتهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) النساء: 117-120. وقال تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن؛ إن الشيطان ينزغ بينهم) الإسراء: 35، وقال سبحانه: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم؛ وما يعدهم الشيطان إلا غروراً\* إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) الإسراء: 64-65،

● وقال سبحانه محذراً من الدنيا وزهرتها؛ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور!

- وقال عز من قال محذراً من الهوى وحظ النفس: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله!)
  - وفي المسند يروي سيدنا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه تحذيراً من الانقسام والتفرق: (خطأ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ ثم قال: هذا سبيل الله ثم خطأ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا؛ فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ!) الأنعام: 153.
  - وفي مسند الوادعي عن سيدي حذيفة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحدٌ ممَّا قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال).
  - وفي البخاري عن سيدي أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما: (ما تركت بعدي فتنة أضرت على الرجال من النساء)
  - وفي صحيح سنن الترمذي عن سيدي كعب بن عياض رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إن لكلِّ أمة فتنة وفتنة أمتي: المال).
  - وفي صحيح مسلم أن عبد الله بن مسعود قال: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.
  - وفي الترمذي عن سيدي فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (كلُّ ميتٍ يُخْتَمُ على عمله؛ إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المجاهد من جاهد نفسه!)
  - وفي الترمذي عن سيدي أبي حاتم المزني رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد). قالوا: يا رسول الله! وإن كان فيه؟ قال: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه). ثلاث مرات!
- وغير ذلك من الفتن، نعوذ بالله تعالى مما ظهر منها وما بطن!

## واحدًا وعشرين: تقدير الجمال

لم يخلق الله تعالى كونه الفسيح شكلاً واحداً ولا لوناً ولا حجماً ولا نوعاً ولا رائحة ولا طبيعة، بل نوع في كل شي من هذه تنوعاً يشهد بعظمته وربوبيته وقيومته، ولأسمائه الخلاق والبدیع والفاطر والبارئ والمصور، وبأنه تبارك وتعالى (جميل يحب الجمال) مسلم وغيره عن سيدي ابن مسعود رضي الله عنه.

ووردت في القرآن الكريم ألفاظ كثيرة مرتبطة حول هذا المعنى، كلفظة جمال، وحسن، وزينة، وألوان، وما شابهها، وهي كثيرة متناثرة!

● كما من ربنا المنان تبارك وتعالى على الناس بهذا التنوع، (ومن الجبال جدد بيض وحمر، مختلف ألوانها، وغرايب سود\* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) فاطر: 27.

● وبالزينة في السماء: (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) الصافات: 6.

● ومن كذلك بالجمال المبتوث والنعمة السابغة قال تعالى: في سورة ق: 6-11: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها، وزيناها، وما لها من فروج\* والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج\* تبصرة وذكرى لكل عبد منيب\* ونزلنا من السماء ماء مباركاً، فأنبتنا به جنات، وحب الحصيد\* والنخل باسقات، لها طلع نضيد\* رزقاً للعباد، وأحيينا به بلدة ميتاً، كذلك الخروج).

● وقال تعالى معدداً بعض أشكال عظيم خلقه: (هو الذي أنزل من السماء ماء، لكم منه شراب، ومنه شجر، فيه تسيمون\* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات؛ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون\* وسخر لكم الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره؛ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون\* وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) النحل: 10-13.

● وتتوسع الثمار والأذواق، والأشكال: (وفي الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب، وزرع، ونخيل صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد: 4. ويقول تبارك وتعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء



فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضراً، فأخرج منه حباً متراكباً، ومن النخل من طلعتها قنوان دانية، وجنات من أعناب، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الأنعام:86،

• ويأبدعه سبحانه في خلق الإنسان: (يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم\* الذي خلقك فسواك فعدلك\* في أي صورة ما شاء ركبك) الانفطار:6-8.

• وبالأنعام بجمالها، وفوائدها، وكونها زينة: (والأنعام خلقها لكم: فيها دافع، ومنافع، ومنها تأكلون\* ولكم فيها جمال حين تريحون، وحين تسرحون\* وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس؛ إن ربكم لرؤوف رحيم\* والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون) النحل:5-8.

• وأمرنا سبحانه أن نتجمل خصوصاً عند المساجد والصلاة: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين\* قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده...)) الأعراف:31-32.

والمعنى واسع كبير.. ليس هذا مجال التفصيل فيه.. ونكتفي بهذا المقدار.. والحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الفهرس: